المحاضرة الخامسة: الجملة الظّرفية وخصائصها.

المرجع:التراكيب الإسنادية: الجمل: الظرفية –الوصفية– الشرطية. لـ: علي أبو المكارم.

لعل أول من استخدم مصطلح "الجملة الظروفية" فى التراث النحوى كان الزمخشرى: جار الله أبا القاسم محمود بن عمر، المتوفى سنة ٥٣٨هـ، الذى مثل لها بنحو: خالد فى الدار[١]، أى أنها مكونة عنده من مبتدأ وخبر وقع ظرفا أو جارا ومجرورا. ولعل آخر من استخدم هذا المصطلح فى هذا التراث كان ابن هشام، أبا محمد عبد الله جمال الدين يوسف، المتوفى سنة ٧٦١هـ حين أطلقه على الجملة "المصدرة بظرف أو مجرور نحو: أعندك زيد؟ و: أفى الدار زيد؟، إذا قدرت (زيدا) فاعلا بالظرف والجار والمجرور، لا بالاستقرار المحذوف، ولا مبتدأ مخبرا عنه بهما"[٢].

مكونات الجملة الظرفية:

تتكون الجملة الظرفية من مبتدإ وخبر، والمبتدأ في هذه الجملة يشارك المبتدأ في الجملة الاسمية في كثير من أحكامه، كالرفع والاسناد إليه، أمّا الخبر فهو يختلف فلا يكون إلا ظرفا أو جارا ومجرورا.

وتجدر الإشارة أنّه ليست كل الظروف صالحة أن تكون خبرا، وليست كل حروف الجر مع مجروراتها صالحة كذلك؛ فلا يكون ظرف الزمان خبرا عن جثّة، أي شيء مادّي، كالسماء، الأرض، أحمد، أسد... فلا نقول : خالد أمس، لأن خالد (جثّة اسم يمكن رؤيته ولمسه و...) ويمكن أن نقول:العيد أمس.

أما بالنسبة للحروف فهي تقسم حسب التصنيف النحوي إلى:

- **حروف محضة: تكون أخبارا**
- **حروف مشتركة بين الحرفية والاسمية مثل: مذ، منذ،...تكون أخبارا بشروط.**
- **حروف مشتركة بين الحرفية والفعلية مثل: خلا عدا وحاشا. وهذه لا تصلح أن تكون أخبارا.**

خصائص الجملة الظرفية:

أولاً: التطابق:

تتميز الجملة الظرفية بمسلك فريد فى التطابق، ذلك أن الظرف والجار والمجرور الواقع ركنا إسناديا فى هذه الجملة لا يتضمن فى اللفظ أى عنصر من عناصر التوافق المباشر أو غير المباشر مع الركن الاسنادى الآخر فى الجملة، كما لا يحتوى على أى شكل من أشكال المخالفة له، ومرد ذلك إلى أن "طبيعة" الظرف والجار والمجرور توشك أن تكون طبيعة "محايدة" من حيث إنها لا تتاثر بالفروق العددية أو النوعية، ومن ثم تصلح لاستيعاب ما يختلف عدداً ونوعًا دون أن يحدث لها أى تغيير.

فهي بذلك لا تشترط التطابق.

ثانيا – الترتيب:

توشك أن تكون مرونة الترتيب الأصل العام الذى يحدد العلاقات الموقعية لأطراف الإسناد فى الجملة الظرفية، فباستثناء مواضع محدودة يجب فيها التزام ترتيب بعينه يجوز تقدم الظرف.

أو الجار والمجرور الواقع ركناً إسناديًا فى الجملة على الركن الآخر فيها. كما يجوز تأخره عنه، وسواء تقدم الظرف أو الجار والمجرور أو تأخر فإنه لا مجال لاحتمال الخلط بين طرفى الإسناد فى الجملة، فإن الظرف أو الجار والمجرور هو المسند تقدم أو تأخر: سواء وقع خبرًا للمبتدأ أو لأداة ناسخة، ككان أو إن. أو وقع مفعولاً ثانياً لظن، أو مفعولاً ثالثاً لأعلم وأرى، فالصلة بين ركنى الإسناد فى الجملة الظرفية من الوضوح بحيث تتيح قدراً من المرونة فى تبادل المواقع دون أن يسلم هذا التبادل إلى شىء من غموض أو إبهام.

ثالثاً – التقييد:

من الخصائص المميزة للجملة الظرفية قابليتها للتقييد وصلاحيتها لتقبل القيود اللفظية والمعنوية التى تحدثها النواسخ الحرفية والفعلية – باستثناء (كاد) وأخواتها من بينها – وما يترتب على هذه القيود من آثار فى مبنى الجملة ومعناها، سواء من حيث التغير الكمى معها أو من حيث الأثر الدلالى والوظيفى لها.

رابعا – الامتداد:

لا يقبل العنصر الإسنادى المميز للجملة الظرفية – وهو الظرف والجار والمجرور – الامتداد، ومن ثم فإن عناصر الامتداد التى يمكن أن توجد فى هذه الجملة مرتبطة – وجوداً وعدمًا – بالمسند إليه فيها إذا كانت مطلقة، وبه وبالأدوات الناسخة لها إذا كانت مقيدة. وهكذا فإن عناصر الامتداد المحتملة فى الجملة الظرفية يمكن حصرها فى:

الوصف، والإضافة، والتبعية، باتفاق، والحالية أيضاً على خلاف، وأما بقية عناصر الامتداد المرتبطة بأحد الطرفين فإنه لا مجال لو جودها فيها.

وبهذا تخالف الجملة الظرفية الجملة الاسمية من ناحية، والجمل الوصفية والفعلية والشرطية من ناحية أخرى. فإن الجملة الاسمية تقبل الامتداد باطراد للطرفين الإسنادين فيها. كما أن عناصر الامتداد الصالحة لدخولها تتسع فتشمل أنماطاً لا سبيل إلى وجودها فى الجملة الظرفية، وبذلك تخالف الظرفية الاسمية فى الامتداد كمًا وكيفًا معاً. وأما مخالفة الجملة الظرفية لبقية أنوع الجملة العربية من وصفية وفعلية وشرطية من حيث الامتداد، فإنه يتمثل فى الاحتمالات الجائزة للعناصر الممتدة من ناحية، والأشكال الواردة لها من ناحية أخرى. على نحو ما سنتناوله – إن شاء الله – عند عرض الضوابط التقعيدية لهذه الجمل.

خامساً – البساطة والتركيب:

يتسم الإسناد فى الجملة الظرفية بالبساطة دائما، ولا مجال قط لتحويل هذه الجملة إلى جملة مركبة –سواء فى حالة إطلاقها أو فى حالة تقييدها بناسخ من النواسخ الفعلية أو الحرفية الصالحة للدخول عليها.